Kirkuk University Journal of Humanities Studies

مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية

https://kujhs.uokirkuk.edu.iq/

Ramadan Rituals in the Islamic Maghreb

Asst. Prof. Dr. Mohammed Naseef Hardan

University of Kirkuk

College of Education for Women

hardan@uokirkuk.edu.iq

تاريخ الارسال 2024-11-24	تاريخ التعديل 2024-11-27	تاريخ القبول : 2024-12-1

Abstract

The month of Ramadan is one of the most important and distinctive months for Muslims among the rest of the months. It is ranked in the ninth month of the Gregorian calendar, which comes after the month of Sha'ban. It is one of the most important and distinctive months for Muslims. It is the month of fasting, as people abstain from food and drink during its days, as well as many actions that invalidate fasting. How could it not be, as it is one of the pillars of Islam, and according to the Almighty's saying (O you who believe, decreed upon you is fasting as it was decreed upon those before you). This month has a clear impact in uniting the ranks of Muslims through the rituals and activities that are held during the month, such as Tarawih prayers (the congregation), as well as gathering for the Iftar meal and inviting people to each other. The month of Ramadan is also an opportunity to restore the social fabric by resolving disputes between Muslims and being tolerant of each other out of respect for the sanctity of this blessed month. After the end of the month of Ramadan and the advent of the month of Shawwal, which begins with the first day of Eid, which is a sacred religious occasion, it is therefore an opportunity To spread joy and happiness through what Muslims offer on behalf of themselves and their families as a right to the poor, known as Zakat al-Fitr, which is often given before the Eid prayer and sometimes days before it, so that the needy can benefit from it.

Keywords: Rituals, holidays, Ramadan, Eid al-Fitr.

الشعائر الرمضانية في المغرب الاسلامي

أ.م.د. محمد نصيف حردان*
جامعة كركوك
كلية التربية للبنات
hardan@uokirkuk.edu.iq

الملخص

يعد شهر رمضان من الاشهر المهمة والمميزة عند المسلمين من بين باقي الشهور ويقع ترتيبه في الشهر التاسع من التقويم الهجري والذي يأتي بعد شهر شعبان وهو من الاشهر المهمة والمميزة عند المسلمين فهو شهر الصيام حيث يمتنع الناس في ايامه عن الطعام والشراب وكذلك الكثير من الافعال التي تبطل الصوم وكيف لا وهو احد اركان الاسلام وحسب قوله تعالى (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لعلكم تتقون)[1]، وان لهذا الشهر أثر واضح في رص صفوف المسلمين من خلال الشعائر والفعاليات التي تقام اثناء الشهر مثل صلاة التراويح (الجامعة) وكذلك التجمع على وجبة الافطار ودعوة الناس بعضها لبعض ، كما يعد شهر رمضان فرصة لترميم النسيج الاجتماعي من خلال فض النزاعات بين المسلمين والتسامح مع بعضهم ، احتراماً لقدسية هذا الشهر الفضيل وبعد انتهاء شهر رمضان وحلول شهر شوال الذي يبدا به اليوم الاول من العيد الذي يعد مناسبة دينية مقدسة وبالتالي فهي فرصة لنشر الفرح والسرور من خلال ما يقدمه المسلمون عن انفسهم وعوائلهم من حق الفقراء بزكاة الفطر والتي غالباً ما تقدم قبل صلاة العيد واحياناً قبله بأيام لكي يستفاد منها المحتاجون.

الكلمات المفتاحية : الشعائر ، الاعياد ، رمضان ، عيد الفطر.

* جامعة كركوك - كلية التربية للبنات

(1) سورة البقرة (الآية : 183)

المقدمة

يعد شهر رمضان من الاشهر المهمة والمميزة عند المسلمين من بين باقي الشهور ويقع ترتيبه في الشهر التاسع من التقويم الهجري والذي يأتي بعد شهر شعبان وهو من الاشهر المهمة والمميزة عند المسلمين فهو شهر الصيام حيث يمتنع الناس في ايامه عن الطعام والشراب وكذلك الكثير من الافعال التي تبطل الصوم وكيف لا وهو احد اركان الاسلام وحسب قوله تعالى (***أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ***)[1].

لقد اهتم سكان المغرب الاسلامي بالعادات والطقوس التي كانوا يمارسونها في المناسبات الدينية كالأعياد لأنها تعد اياماً مقدسة تمارس فيها مسألتين مهمتين في حياة المسلم ، الأولى تشمل جانب العبادات كالصلاة وقراءة القرآن والتسبيح والصدقات. والمسألة الثانية تعد ايضاً مهمة ؛ لأنها ذات بعد اجتماعي وهي تشمل حياة المسلم لكونها تقع في شهر رمضان حيث يهتم المسلم بطعامه وشرابه وملبسه وزينته كونها تعد اياماً مباركة ويضاعف فيها الاجر ومما تجدر الاشارة إليه هو ان العالم الاسلامي يحتفل في كل عام بالعيدين الرئيسيين وهما : عيد الفطر وعيد الاضحى، وهناك مناسبات اخرى يحتفل بها المسلمين وهي : الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وليلة الاسراء والمعراج والتي تعد لهما قدسية عند المسلمين.

ويبدأ شهر رمضان بالإعلان عن بداية الشهر القمري الجديد وذلك برؤية الهلال في اليوم التاسع والعشرون من شعبان اما في حال عدم الرؤية يكون اليوم الثلاثون من شعبان هو متمم لشهر شعبان واليوم الذي يليه هو اول يوم من شهر رمضان وتتراوح مدة الشهر ما بين تسع وعشرين وثلاثين يوماً ينتهي ايضاً بثبوت رؤية الهلال ليحتفل المسلمون بعيد الفطر ولأهمية هذا الشهر الفضيل والذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع هو لما لهذا الشهر من مكانة عند المسلمين فقد نزل القرآن الكريم في ليلة القدر.

قسم البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ، تضمن المبحث الاول ظهور الهلال وبداية اعلان صوم شهر رمضان ، وشمل المبحث الثاني رؤية هلال العيد والاعلان عن دخول شهر شوال الذي يمثل اليوم الاول من ايام عيد الفطر المبارك ، ويرتبط هذا الشهر بإقامة العديد من الشعائر الدينية مثل صلاة التراويح والاعتكاف في العشر الاواخر وكذلك ما لهذا الشهر من بعد اجتماعي مثل التواصل بين الناس خلال هذا الشهر والعطف على بعضهم البعض كالدعوات على وجبة الافطار والتصدق على المحتاجين وزكاة الفطر اضف الى ذلك ما هناك من فعاليات اقتصرت على هذا الشهر الفضيل منها تزيين المساجد والبيوت وانتشار انواع خاصة من الاطعمة ، وغيرها من الفعاليات التي تمارس اثناء شهر رمضان فقط.

المبحث الاول : ظهور هلال شهر رمضان.

نظراً لأهمية تحديد موعد الصيام وبدء الشهر الفضيل عند المسلمين عامة وسكان المغرب العربي خاصة ، كانوا يهتمون في تحديد رؤية الهلال ، إذ كان الفقهاء يشرفون على ترقب ولادة الهلال حيث يقع على عاتقهم رؤية الهلال واعلام المسلمين بحلول شهر رمضان[2].

يعد الاعلان بظهور الهلال مهم جداً الامر الذي جعل من يقوم بهذه الامر مهماً ويجب ان يخول الشخص من قبل السلطة ويجاز من قبل الفقهاء لأنه يمثل السلطة الدينية والشرعية وهو الوحيد الذي يحق له الإفتاء بولادة الهلال او عدم رؤيته. وما ان يعلن في بداية الشهر الفضيل حتى تبدأ الناس بالاستعداد لاستقباله كل حسب نوع معاشه وصنعته وخير من وصف لنا استقبال سكان المغرب الاسلامي لشهر رمضان هو صاحب كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة، أذ يقول" حتى إذا وقف الأئمّة منك على الصّحيح، وصرّحوا برؤيتك كلّ

التصريح، نظرت كل جماعة في اجتماعها، وتأهّبت القرّاء لأشفاعها، واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها، وتضرعت الألباب، وطلبت المواقف أواخر الأعشار والأحزاب، وابتديت ألم ذلك الكتاب، عند ما أوقدت قناديل كأنما قد بدت من الصباح،" [3] وهذا النص يعد وصفاً دقيقاً يعطي دلالة واضحة ذات بعد ديني لقدسية هذا الشهر لدى سكان المغرب الاسلامي وايضاً يوضح تهيأة الناس لممارسة طقوس شهر رمضان. ومن الامور التي يهتم بها سكان المغرب الاسلامي في اليوم الاول لبداية شهر رمضان هو الاستعداد لشراء ما يمكن ان يلزمهم في يومهم الاول للصيام من طعام للفطور والسحور[4] وقد كان اهل المغرب عامة يترقبون هلال رمضان وذلك بالخروج ليلاً لرؤية الهلال ومما تجدر الاشارة اليه ان من يعلن عن رؤيته عليه ان يبدأ التكبير وذلك معبراً عن فرحته [5] اما في الاندلس فانهم غالباً ما يعمدون الى اشعال النيران لأشعار القرى المجاورة ببدء شهر رمضان [6] وما ان يعلن عن رؤية هلال شهر رمضان حتى تبدأ مراسيم هذا الشهر الفضيل حيث تبدا الناس بشراء لوازم الصيام من مأكل وغيرها اضف الى ذلك ان مفهوم الصيام لا يعني فقط الإمساك عن الاكل والشرب وانما الامساك عن كل شيء محرم ومنكر[7].

- **البعد الديني لشهر رمضان**

ونظراً لقدسية هذا الشهر ورغبة المسلمين في مضاعفة الاجر والثواب لما عرف عن هذا الشهر بانه شهر العبادة كقراءة القرآن والتهجد وسماع الحديث النبوي الشريف ، اذ كان الناس حريصون على تأدية الصلاة في المساجد لما لها من زيادة في الاجر والحسنات وقد سعى الكثير من المسلمين الى ختم القرآن في هذا الشهر[8] وماذا يروى عن سنة الرسول ﷺ في اجر الصيام فقد حرص الصائمون على سنة السحور سيما سكان المغرب الاسلامي عدوه مكملاً لأجر صيام الشهر[9] ولأهمية السحور فقد خصص شخص في كل حي

او شارع لإيقاظ الناس وذلك من خلال آلة (النفير) او ما تعرف عند سكان المغرب الاسلامي (البوجلالة) وهي اله تشبه البوق من حيث الشكل[10] ومن الايام المباركة في شهر رمضان هي ليلة النصف من رمضان وهي عبادة اعتاد سكان المغرب الاسلامي احيائها وكانت لهم عادات خاصة ، إذ غالباً ما يذهبون الى حلقات الذكر التي تقام بعد صلاة العشاء الى قبيل صلاة الفجر[11].

وليلة القدر التي يقيمها مسلمو المغرب في ليلة السابع والعشرين من رمضان والتي اولوها اهتماماً كبيرا حيث ذكر ابن الزيات نصاً بهذا الخصوص يقول فيه " اعظم ليلة في هذا الشهر هي ليلة السابع والعشرين منه"[12].

كما ذكرها ابن الخطيب بقوله" خير من ألف شهر، فنشط الصالحون بك صوما، وهجر المتهجّدون في ليلك نوما، وأكملناك إن أذن الله ثلاثين يوما"[13]

وكيف لا ! وهي الليلة التي قال الله سبحانه وتعالى بحقها **{وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ}** [14] وقد جرت العادة على تتبعها في العشر الاواخر من ليالي الوتر اذ كان الرسول ﷺ يقيم الليل في العشر الاواخر وفي الوتر منها وقد روي لنا عن ابن عمر (رضى الله عنه) ان رجالا اروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر ، فقال رسول الله ﷺ " ارى رویاكم قد تواطئة في السبع الاواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر" [15]، وقد كان هذا الحديث مدعاة لإقبال سكان المغرب الاسلامي على اقامة ليلة القدر وملازمة الجوامع وقراءة القرآن ومما لاشك فيه ان مساجد المغرب الاسلامي كانت تقام فيها صلاة التراويح أذ نجد ان المسلمين يتسابقون لهذه الصلاة بغية الحصول على اجرها[16].

ان أمراء المغرب الاوسط كانوا يشاركون السكان في احياء هذا الشهر الفضيل بالقراءة في مصحف الخليفة عثمان بن عفان(رضى الله عنه) حيث انهم يتبركون في قراءته لما له من مكانة مقدسة عندهم[17] كذلك فأن العناية بالمساجد تبدأ منذ اليوم الاول لهذا الشهر الفضيل ، اذ يبدأ المسلمون بتنظيف المساجد وانارتها بالقناديل واشعال البخور وهي من العادات المتوارثة في بلاد المغرب الاسلامي[18].

1 **البعد الاجتماعي**

يبدأ سكان المغرب الاسلامي بالاستعداد للاحتفال بقدوم شهر رمضان وعيد الفطر شأنه شأن ما يقام من مراسيم في بلاد المشرق الاسلامي[19] حيث شكل شهر رمضان نقطة تحول في تفكير الانسان المسلم من خلال حثه على التمسك بأحكام وتعاليم الاسلام وعن قدوم شهر رمضان والاعلان عنه يقول ابن الخطيب "حتى إذا وقف الأئمّة منك على الصّحيح، وصرّحوا برؤيتك كلّ التصريح، نظرت كل جماعة في اجتماعها، وتأهّبت القرّاء لإشفاعها، واندفعت الأصوات باختلاف أنواعها، وتضرعت الألباب، وطلبت المواقف أواخر الأعشار والأحزاب" [20]

ويعد هذا الشهر فرصة لرص النسيج الاجتماعي وتماسك المجتمع بعضه ببعض لما لهذا الشهر من تأثير في توطيد العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع الاسلامي أولها ما كان يبذل من صدقات على الفقراء اذ يبدأ الانفاق من اول يوم في رمضان على الفقراء والمستضعفين والمتسولين ليأخذوا نصيبهم من الصدقات والعطايا كما تكثر في هذا الشهر الزيارات ما بين الاقارب وغالباً ما تكون على شكل دعوات على الافطار وذلك لتوطيد اواصر المجتمع [21]

ومن الثوابت المتبعة في هذا الشهر والتي تعد نقطة لربط اواصر المجتمع الاسلامي هي ما يدفعه الصائمون في صدقة فطرة الصوم والتي تسمى زكاة الفطر وهي يدفعها الصائمون عن انفسهم وعن افراد عائلاتهم صغاراً وكباراً وتدفع للفقراء والمساكين ويجب ان تدفع قبل العيد حتى يستطيع مستحقوها من الاستفادة منها لشراء ما يحتاجونه من ملابس وغيرها وقد اجاز العلماء ان تدفع قبل صلاة العيد[22]

ومن الامور الاجتماعية التي يخصها هذا الشهر والتي تؤكد على الرابط الاجتماعي هو ما يتم الاتفاق عليه من اول يوم من الشهر وهو شراء المأكولات اذ يشتري الذي له سعة في رزقه ما يتمكن شراءه لأهل بيته وكذلك تقدم الصدقات للفقراء والايتام[23]، اذ يعد اهل الاندلس شهر رمضان موسم لانفاق الصدقات لاسيما الخلفاء فقد كان الحكم المستنصر بالله (302-366هـ/ 915-976م) يحتفل بشهر رمضان ويكثر من اشاعة الصدقات وبسط الارزاق وتجديد القربات[24] ، وكانت هناك خصوصية في نوعية الطعام على ما يعده للإفطار والسحور رغم اننا لم نعثر على انواع محددة لما كان يتناوله الصائمون في بلاد المغرب الاسلامي لكن دون شك فأن ما يقدم على مائدة الافطار شيء مختلف عن بقية الاطعمة لبقية الاشهر [25] كما ان هناك للصائم فرحة عند الافطار اذ في حديث الرسولﷺ للصائم فرحتان يفرحهما(**اذا افطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه)** [26]

المبحث الثاني : رؤية الهلال واعلان العيد.

يشكل العيد نقطة تحول عند المسلمين لأنه يحثه على تذكر نعمة الخالق سبحانه وتعالى بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن الكريم والشكر والمغفرة ومساعدة الفقراء وهو بحد ذاته مدعاة للفرح والبهجة والتفاؤل والتسامح مع الاخر ونبذ الخلاف ورص المجتمع وتوحيد الكلمة.

والعيد هو كل يوم في جمع واشتق من (عاد) (يعود) كأنهم عادوا أليه وجمعة اعياد وهو مشتق من العادة لأنهم اعتادوه وقيل سمي عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح مجدداً[27]

وقد قيل ايضاً انه سمي عيداً لأنه يدعو للتفاؤل والسرور[28] وعيد الفطر هو أول الاعياد واول الفرحتين اذ جاء في حديث الرسولﷺ قوله" للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه"[29] وتبدأ الاحتفالات في العيد في اول يوم من شهر شوال وقد اشار صاحب كتاب الاحاطة بقوله" واحتفلوا باخر ليل رمضان وبرؤية هلال شوال" [30] لان موعد ظهور الهلال يعد مناسبة مهمة ولهذا وجب على الشخص الذي يعلن عن الهلال ان يكون فقيه بل يجب ان يكون مخول من قبل السلطة فهو يمثل السلطة الدينية والشرعية والوحيد الذي يمتلك حق الافتاء بشأن ميلاد أو انهاء الهلال وغالباً ما كان مخولاً من قبل القضاة او بأشرافهم المباشر[31]

ومما تجد الإشارة اليه ان الناس في الجاهلية وخاصة في المدينة المنورة كان لهم يوم للهو واللعب ولكن بعد الاسلام وعندما دخل الرسولﷺ المدينة المنورة أمر بأن يستبدلها بيوم الفطر والنحر كما جاء في حديث انس ابن مالك قال : " قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ما هاذان اليومان ؟ قالو : كلنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال رسول الله ﷺ : ان الله قد ابدلكم بهما خيراُ منهماً : يوم الاضحى ويوم الفطر" [32].

- **الاستعداد للعيد.**

كان الناس في الاندلس يعلنون عن شهر شوال عن طريق كبار الفقهاء كما ذكرنا وهي اعلان عن نهاية شهر رمضان وبدأ بالتكبير والتهليل معربين عن فرحتهم بالعيد[33] وقد تغنى الشعراء بفرحتهم بالعيد وقد اشتهر ابن سيد البطلوس في قصائدة التي تغنت بهذا اليوم المقدس يقول :

كأن هلال الفطر لاح بوجهه..... فاعيينا شوقاً أليه تمسك[34]

ويبدا المسلمون يومهم الاول حيث يستيقضون في الصباح ليتوجهوا الى المساجد لأداء صلاة العيد وكان الامراء والولاة في الاندلس يخرجون لحضور صلاة العيد في موكب مهيب[35] وبعد الانتهاء من الصلاة يعودون الى قصورهم لتبدأ مراسيم التهنئة بالعيد اذ يتوافد عليهم كبار رجال الدولة للتهنئة[36]،ومن العادات المتبعة في عيد الفطر في عهدي الامارة والخلافة الاموية ، اذ كان للأمراء والخلفاء حضور كبير في هذه المناسبات الدينية، اذا روي ان اول الامراء الامويين في الاندلس عبد الرحمن الداخل (138-172هـ/ 731-788م) كان يصلي في اهل الاندلس في الجمع والاعياد[37]، وكان الامير عبدالله بن محمد يجلس حفيده الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/890-961م) عندما كان صغيرا في مكان جلوسه في القصر ويأمر الخاصة والعامة بالسلام عليه[38]ويصف دوزي عيد الفطر في قرطبة عام (335هـ-946م) ، اذ تزدحم الطرقات بالناس بعد ان سادها الصمت طيلة شهر رمضان فضاقت بهذه الجموع الشوارع والمساجد وخرج الناس يرتدون افخر ما لديهم[39].

اما ما يتعلق بطقوس العيد عند عامة الناس فانهم بعد الانتهاء من صلاة العيد يخرج الناس الى المتنزهات والاماكن العامة وهم يرتدون افخر الثياب بينما تقوم النساء في البيت بإعداد وجبة العيد التي غالباً ما تضم عدة اصناف من الطعام[40]

وقد اورد لنا ابن الخطيب نص عن صباح العيد واعلان رؤية الهلال واندفاع الناس لهذا اليوم المقدس بقوله" هذا هلال شوّال قد طلع، وكرّ في منازله وقطع، وغاب أحد عشر شهرا ثم رجع. ما لي أراه رقيق الاستهلال، خفيّ الهلال، وروحا تردّد في مثل انملال؟ ما باله أمسى الله رسمه، وصحّح جسمه، ورفع في شهور العام اسمه؟ على وجهه صفرة بيّنة، ونار إشراقه ليّنة، وأرى السحاب تعتمده وتقف" [41]

ويبدا الاحتفال باليوم الاول من عيد الفطر من الصلاة في المسجد كما ذكر سابقاً ثم يتبعه قيام النسوة بتنظيف البيت وتزيينه اذ حرصت المرأة المغربية على تزيين منزلها احتفاءً بقدوم العيد[42] ومن السنن المتبعة عند اهل المغرب بخصوص صلاة العيد ان من يأتي الى الصلاة ويكمل صلاته فيجب عليه تغيير طريق العودة بعد انقضاء صلاة العيد اعتقاداً منهم للتخلص من الذنوب التي ربما لازالت عالقة بهم في شهر رمضان ولم يغفر لهم فيها بسبب تقصيرهم بالعبادات او عدم بلوغهم ليلة القدر فتغير الطريق في اعتقادهم هو التخلص من الذنوب ويجب عليهم عدم المرور في نفس الطريق مخافة ان تلتصق بهم هذه الذنوب مرة اخرى وقد وصف لنا صاحب كتاب الاحاطة بذلك يقول" ثم انصرفوا راشدين ..... ورجعوا على غير الطريق الذي اتو عليه" [43] .

- **صلاة العيد.**

وغالباً ما تجري صلاة العيد في اكبر المساجد ولكن نجد احياناً ان صلاة العيد تقام خارج المدينة كما هو الحال عندما اقيمت صلاة العيد في مدينة تلمسان حيث اقيمت خارج اسوار المدينة امام باب القرمادين الذي يقع في الشمال الغربي من مدينة تلمسان وقد حضر الصلاة الناس من مختلف الاعمار والفئات الاجتماعية في مقدمتهم حاكم المدينة وهناك طقوس مصاحبة للأطفال بعد صلاة العيد وهي ان الناس يحضرون انواع الحلوى تقدم مع مشروب كالشاي والقهوة [44].

كما ومن ضمن العادات السائدة عند اهل المغرب بعد الانتهاء من صلاة العيد فأن قسم من الناس يتجهون الى المقابر والاضرحة لزيارتها وقراءة الفاتحة على قبورهم والتبرك بأضرحة الاولياء[45] ، ومن عادات العيد عند اهل المغرب عامة والاندلس خاصة كانت ظاهرة قرع الطبول احتفالاً بليلة العيد ومن عاداتهم ايضاً اصطحاب الاطفال والنساء وكانوا ينصبون الخيام لمشاهدة مظاهر الاحتفال بالعيد[46] وحرصاً منهم على

اختلاط النساء بالرجال قد فرقوا بالطريق بين مسير النساء ومسير الرجال في ايام العيد على طريق واحد[47]، ويصف لنا بن حيان احدى مجالس الخليفة المستنصر بالله (350-366هـ/1029-1094م) اذ يقول "افطر اهل قرطبة ومن جاورها يوم الجمعة وقعد الخليفة المستنصر بالله بعد انقضاء صلاة العيد وتسليم الجند عليه في محراب المجلس الشرقي من قصر الزهراء..... قعودا فخماً... شهدته طبقات الناس فكان صدره الاخوة وجنباته الوزراء ومتوسطة اهل المراتب من طبقات اهل الخدمة وسائرة لوجوه الموالي وبياض رجال قرطبة.... وظلت الخطباء والشعراء في هذا الحفل تناغي فيا ترجل من خطبها وتنشد من اشعارها فتكثر وتجيد"[48] ، وكان الأندلسيون يتحرون لليلة العيد من يوم السابع والعشرين من رمضان وهي ليلة عظيمة لديهم يختم فيها القران الكريم في المساجد وحتى ان النساء الأندلسيات كن يشاركن في الختم[49] وكانوا الاندلسيون يصطحبون معهم النساء والاطفال وينصبون الخيام على مقربة من المصلى كمل قال الطرطوشي[50] "انه من البدع خروج الرجال جميعا او اشتاتا مع النساء مختلطن للتفرج لا للصلاة" . اما ابن الخطيب[51] فقد وصف ما يجري في عيد الفطر قائلا: "مشى الناس فيه مثنى الجباب، ولبسوا افضل الثياب وبرزوا الى مصلاهم من كل باب" لم يخف ابن قزمان انه كانت له رغبة في لبس الثياب الجديدة يوم العيد الا انه لم يستطيع لضيق المعيشة ولان المتطلبات والمستلزمات الخاصة بالعيد كانت مكلفة يصعب على غير الميسورين تحملها فألى جانب اقتناء الملابس يقبل الناس على شراء اشياء جديدة واصلاح المنازل وترتيبها بالتحف[52].

- **الملابس والزينة.**

اما ما يتعلق بالزينة وارتداء الملابس الجديدة والفاخرة فهي ايضاً عادة متبعة عند المسلمين ابتهاجاً بالعيد اذ تزين الناس ولبسوا الثياب الجديدة والتي غالباً ما يشترونها قبيل العيد لما لهذه المناسبة من قدسية لذا حرصت الناس على الظهور بأجمل صورة .

وقد تميز اللباس المغربي الذي يمثل تراث اهل المغرب عامة وهو البرنس الذي اعتاد اهل المغرب على ارتداءه لأننا ندرك ارتباط العادات والتقاليد المغربية وتشابهها خصوصاً في اوقات الاعياد والمناسبات والذي يعرف بلباس الصوف وذلك اقتداء بسنة النبي محمد ﷺ [53]، اذ اورد ابن صعد نصاً بذلك يقول" عليكم بلباس الصوف تجدون حلاة الايمان في قلوبكم وعليكم بلباس الصوف تعرفون به في الأخرة[54] ويعد البرنس من اثمن الهدايا التي تهدى للملوك والسلاطين بالمشرق اذ اهدى السلطان ابو الحسن المرسي (731-749هـ/ 1331- 1348م) عندما كان حاكم على تلمسان اهدى لحاكم دولة المماليك ملابس مصنوعة من الحلل المذهبة ولباس البرنس المغربي المصنوع من الحرير ويبدو ان هذا النوع من اللباس كان يمثل الزي الرسمي الذي يوجب ارتداءه اثناء المناسبات والاحتفالات الرسمية وقد ذكر ابن خلدون ان فقهاء الدولة الزيانيين قد حرموا على الرجال ارتداء الحرير واقتصر لبسه على النساء فقط [55] بالإضافة الى ملابس الصوف فانه توجد ألبسة تصنع من اقمشة اخرى كالكتان والحرير بالإضافة الى انواع اخرى لقماش كان يؤتى من بلاد الروم الى المغرب والاندلس يسمى(الملف) يصنع منه الجبب المصنوعة من الجوخ وهو عبارة عن ثياب خاصة للطبقة الثرية ويبدوا ان للفقهاء راي خاص مختلف بهذا النوع من اللباس اذ يعتقد انه يعامل اثناء صناعته بشحم الخنزير لذلك نهوا عن لبسه[56] كذلك كان اهل المغرب يرغبون في لبس الخز الرفيع[57] وبعض الالبسة الفاخرة ويبدو ان هذا اللباس قد لبسه سكان المدن فيما لبس سكان البادية اللباس الخشن

والبسيط والصوف والكتان ، وقد كانت النساء اكثر حرصاً على الظهور في اجمل اللباس ، وافخرها وحرصت ايضاً على التزيين بالحناء المنقوشة والسواك والكحل والتعطر بالمسك [58] وزينت عيونها بالكحل وارتدت انواع العقود على اعناقها ووضع الاساور على الايادي ، ومن طقوس عيد الفطر المبارك في بلاد المغرب العربي الاسلامي هو تبادل الزيارات بين الاصدقاء والاقارب وذلك بعد الانتهاء من صلاة العيد مباشرة وكانت عاداتهم اثناء الزيارات التصافح وتقبيل اليد والمعانقة [59] .

- **عادات اخرى.**

انطلاقاً من مبدا التسامح بين الناس واعتبار مناسبة العيد فرحة لنبذ الاحقاد والخلافات وقد سعى الناس فيما بينهم الى التسامح لذا نجد ان من يقابلهم بسلام بارد وملامح كئيبة فانهم يرفضون كل تلك التصرفات ويدعون ان يكون السلام سلام محب لمحب لا سلام مكره واعتبروا ان غياب البسمة في استقبال الضيوف كالطعام بدون ملح فان العيد لا ينبغي ان يكون من غير بسمة وسرور وذلك بدعوه منهم الى ترميم النسيج الاجتماعي مستقلين بذلك فرحة قدسية عيد الفطر المبارك لانهم يعتبرونه ضرب من ضروب القسوة حسب قول التلمساني" القلب القاسي بعيد من الله عز وجل بعيد عن الجنة قريب من النار"[60] وللشعراء ايضاً وقفه في العيد لانهم جزء من فئات المجتمع المغربي وهم من حاشية الملوك والولاة وبالتالي فلابد ان تكون لهم بصمة في طقوس العيد المبارك وقد تضمنت اشعارهم عن هذا اليوم المميز كالشاعر ابن السيد البطيلوسي يقول

" **كأن هلال الفطر لاح بوجهه ..... فأحييتنا شوقاً اليه يميل** [61]

وقد حضر الشعراء مجالس الخلفاء لإنشاد القصائد بمناسبة العيد وكان الخلفاء بعد انقضاء صلاة العيد يميلون في مجلسهم ليسلم عليهم وقد وصف لنا ابن حيان في عهد الحكم المستنصر بالله قائلاً" افطر اهل

قرطبة ومن جاورها يوم الجمعة الذي كان اليوم الثامن عشر من تموز وقد جلس الخليفة الحكم المستنصربالله بعد انقضاء صلاة العيد ليسلم على الجند في قصر الحمراء فقام الشاعر طاهر بن محمد البغدادي قائلاً

لولا الامام المرتضى وسبيلة ..... ماتساع تلفيق الفريق المقول

منك رأه الله افضل خليفة..... فحياة من رتب العلاب الافضل [62]

وكان للشاعر محمد بن عبدالله المعافري الاشبيلي (ت 543هـ/1148م) بصمة في ابيات شعره عندما حضر صلاة العيد وراء كثرة الناس واحتفالهم فأثار هذا المشهد قريحته فانشد قائلاً

اليك له الحق قاموا تعبداً ..... وذلو خضوعاً يرفعون لك اليد

بإخلاص قلب والتهاب جوارح .... يخرون للأذقان يكون سجداً[63]

ومن الاشعار التي تغنت بالعيد هي ما اورده لنا ابن خفاجة في ديوانه عندما مدح الامير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين امير مدينة شاطبة وهو يهنئه بمناسبة عيد الفطر المبارك يقول

هنئت عبداً من تلقاك قادماً.....ولم يك لولا ان طلعته ليطلعا

وحسبك حد قد اخلك خادماً.....فما هو ألا تقول مبتسماً[64]

وللشعراء ايضاً دور في نقد ما يتعارض مع سنة نبينا محمدﷺ والتي نهى عنها في زيارة القبور اول ايام العيد حيث انتقد الشاعر ابن فرمان توجه بعض الناس لزيارة المقابر لأنها تخلط المسرات بالأحزان سيما وان العيد هو ايام سعادة وفرح وسرور وبذلك انشد شعراً قال فيه[65] :

كل وجه مزين .... ليلة العيد دوبراً

والبكاء بالمقابر....على الاحباب دمراً

لا احتفال بالفجايع .... فاحتفال بالمسرا

وعلى العكس من أولئك الشعراء الذين تغنوا بأشعارهم لقدسية هذا اليوم المبارك فان قسم منهم انشد شعراً يعبر فيه عن فرحته بخلاصه من شهر رمضان لانهم اعتبروه قيداً على ملذاتهم الدنيوية اذ عبروا عن فرحتهم بالعودة الى ما اعتادوا عليه من منكرات كشرب الخمر كقول احدهم

اذا لاح الهلال فقم اليه .....بإهلال لتوديع الصيام

ولا تسمع بقدر للحظ ألا.....تلاقي وقد اكواس المرام(66)

الخاتمة

ان اهم النتائج التي تم التوصل اليها في موضوع الدراسة ما يأتي

ان العالم الاسلامي يحتفل بشهر رمضان ورؤية هلال العيد وفق طقوس خاصة للمسلمين وتبعاً للموروث الحضاري والثقافي لكل جزء من اجزاء العالم الاسلامي سيما في بلاد المغرب الاسلامي.

لقد كان لا علان رؤية هلال شهر رمضان وبداية الصيام اهمية كبرى لذا نجد ان من يقوم بهذه المهمة يجب ان يكون فقهياً او قاضياً ومخول من قبل السلطة التشريعية.

ان لهذا الشهر أثر واضح في رص صفوف المسلمين من خلال الشعائر والفعاليات التي تقام اثناء الشهر مثل صلاة التراويح (الجامعة) وكذلك التجمع على وجبة الافطار ودعوة الناس بعضها لبعض

يعد شهر رمضان فرصة لترميم النسيج الاجتماعي من خلال فض النزاعات بين المسلمين والتسامح مع بعضهم احتراماً لقدسية هذا الشهر الفضيل

الاهتمام الواضح بنظافة البيوت والمساجد وتزيينها استعداداً لهذا الشهر

يعد العيد مناسبة دينية مقدسة وبالتالي فهي فرصة لنشر الفرح والسرور من خلال ما يقدمه المسلمون عن انفسهم وعوائلهم من حق الفقراء وما يعرف بزكاة الفطر والتي غالباً ما تقدم قبل صلاة العيد واحياناً قبلها بأيام لكي يستفاد منها المحتاجون.

ان الاحتفال بعيد الفطر وتقارب الناس ببعضهم يقلل من الفوارق الاجتماعية بين المسلمين.

ومن عادات العيد في بلاد المغرب الاسلامي هو جلوس الوالي او الخليفة ومشاركة الناس في صلاة العيد ومن ثم العودة بعد الصلاة الى مجلسه ليتم قدوم الناس للتحية عليه وتهنئته بمناسبة العيد.

الهوامش

[1] سورة البقرة :183

[2] عبدالله بن عبد الرحمن بن الحارث بن همام بن العباس السبتي الهواري،(ت: 601هـ)، مناقب ابي العباسي السبتي، مخطوطة رقم(1198)، مكتبة الملك عبدالله بن عبد العزيز، 22ورقة، ب13، مكتبة زخميه.

[3] ابن الخطيب ، محمد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن احمد التلمساني ، تحقيق : محمد عبدالله عنان، ط2، القاهرة : مكتبة الخانجي1973- 1977، 318.

[4] السبتي، المصدر السابق.

[5] ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة ، ص 351.

[6] ابراهيم القادري، بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين، لبنان، 1993: 1,87

[7] دندش، عصمت عبد اللطيف ، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني) ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، لبنان (1988/1408) ، 380

[8] جمال احمد طه: الحياة الاجتماعية بالمغرب الاقصى في عصر المرابطين والموحدين، الاسكندرية: دار الوفاء لطباعة والنشر، 2000، 345.

[9] ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، مج3، 22، 1953.

[10] جمال، المرجع السابق، 345.

[11] منديب ، عبد الغني، الدين والمجتمع دراسة سويسلوجية للتدين بالمغرب ، ط2 ، المغرب ، افريقيا الشرق ، 2010، 139.

[12] ابو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبدالرحمن التادلي ، التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس ، تحقيق : احمد توفيق ، ط2 ، الرباط ، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية ، 1997، 344.

[13] الاحاطة، 1,218.

[14] سورة القدر، ايه رقم(1)

[15] البخاري، ابي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، صحيح البخاري، ط1، تح: محمد بن صالح العثيمين،2، 73، ورد في باب لتماس ليلة القدر في السبع الاواخر، رقم الحديث، 2015.

[16] ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزهري، الرباط، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية،2008 ، 134.

[17] ابن خلدون، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، مراجعة : سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، 2010، 7، 110-111.

[18] خميس بو لعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ) ، 84.

[19]علي سلطان عباس ، الدعاية و الإعلان الصليبي في تعبئة الغرب الأوربي لاحتلال المشرق العربي الإسلامي (490-588 هـ 1096 م-1192 م) ، مجلة جامعة كركوك الدراسات الإنسانية ، المجلد 14، العدد 2 ، 2019)، ص 182.

[20] الاحاطة،ط2,1,318.

[21] جمال، المرجع السابق، 345.

[22] ابن الزيات، المصدر السابق،460.

[23] بوتشيش، المرجع السابق، 87.

[24] ابن حيان ، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة ، بيروت، ص 16.

[25] ابن الزيات، المصدر السابق، 39.

[26] مسلم من الحجاج بن القشيري النيسابوري : صحيح مسلم،تح: نظر محمد الفاريابي ابو قتيبه ، دار طيبة ، ط: 2006، باب صلاة العيدين رقم: 1134,2، 345.

[27] الزبيدي محمد مرتضى الحسين: تاج العروس(من جوهر القاموس) تح: عبد العزيز مطر، مطبعة الكويت، ط2، 1414-1994م، 8، 428.

[28] السفاريني محمد الحنبلي: شروح ثلاثيات مسند الامام احمد ، المكتب الاسلامي، بيروت،1، 579.

[29] صحيح مسلم (807/2).

[30] ابن الخطيب،2,500.

[31] الو نشر بسي، المعيار، 1,149.

[32] ابي داود سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني : سنن ابي داود ، تح: شعيب الارنؤوط ومحمد كامل القربولي، دار الرسالة العالمية ،دمشق، ط1، 143، 2009م، باب صلاة العيدين، رقم 1134، 2، 345.

[33] ابن فرمان القرطبي: الديوان، اصابة الاغراض في ذكر الاعراض، تح: فيد سيركو كور، معهد اسبانيا للثقافة، مدريد، 1980 ، 394.

[34] ابن سيد البطيوس، مجموعة شعره، مجلة المورد العراقية ، مجلة 19، العدد1، 1977,109.

[35] ابن حيان، المقتبس (عصر الامير عبد الرحمن الناصر) ، تح: مكي، 293،؛ ابو مصطفى، مالقه الاسلامية في عصر دويلات الطوائف، 79.

[36] ابن حيان، المقتبس (عصر الامير عبد الرحمن الناصر) ، تح: مكي، 293،؛ ابو مصطفى، مالقه الاسلامية في عصر دويلات الطوائف، 79.

[37] مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الاندلس وامرائها ، تحقيق: لويس مولينا ، (مدريد 1983م،) ، ص140.

[38] ابن عذاري ، البيان المغرب ، ج 2 ، ص157.

[39] رينهارت، المسلمون في الاندلس، تح حسن حبي، الهيئة المرية العامة للكتاب (القاهرة1964م،) ، ص92؛ عياض: ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، (ت 544هـ) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح محمد بن شريفه، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية (المغرب 1983م،) ج 5، ص152.

[40] ابن رشد، فتاوي ابن رشد،2,1120.

[41] الاحاطة، 2,502.

[42] ابو نصر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي ، الحوادث والبدع ، تح: محمد حسن محمد اسماعيل، المكتبة العلمية، بيروت،1988، 41,42.

[43]ابن الخطيب، 2,502

[44] مؤلف ، مجهول، زهرة البستان في دولة بني زيان (760-764هـ) ، تحقيق : عبدالحميد حاجيات ، ط2 ، الجزائر ، الاصالة للنشر والتوزيع ، 2012، 39.

[45] شاوس ، محمد بن رمضان، باقت الوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ط2، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995 ، 39.

[46]الطرطوشي، مصدر سابق، 151.

[47]ابن عبدون محمد بن ابي التجيبي: رسالة في القضاء والحسبة، نرت ضمن ثلاث رسائل اندلسية تح: لفيي بروزنفال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة،1955,47.

[48] المقتبس من انباء اهل الاندلس ، تحقيق عبد الرحمن ، الحجي (بيروت 1965م،) ص 20.

[49] ابراهيم القادري: بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 2 ، بيروت ، د.ت ، ص88.

[50] ابو بكر محمد بن وليد، الحوادث والبدع، تحقيق علي بن حسن الاثري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع (السعودية،1990م،) ص 151.

[51] ابن الخطيب، لسان الدين، المصدر السابق، ص502.

[52] بن قزمان محمد بن عيسى القرطبي ، ديوان ابن قزمان، تحق ، فاكور نيطي ، معهد اسباني العربي للثقافة (مدريد، 1980م) ، ص490.

[53] كامل عبد القادر حسين ، الاقتصاد الاخضر من منظور الفكر الاقتصادي الاسلامي ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، المجلد 16، العدد 2، 2021، ص 129.

[54]ابن صعد، المصدر السابق، 200

[55] بالعربي ، خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيان (633-681هـ) دراسة تاريخية وحضارية ، قسنطينة ، د.ت ، 305

[56]الونشريسي ، ابو العباس احمد بن يحيى ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي افريقيه والاندلس والمغرب ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت لبنان ، 1981 ،1,3.

[57] ابن مرزوق: المصدر السابق، 192-193.

[58] خالد، المرجع السابق، 307.

[59] بوتشيش ، المرجع السابق، 89.

[60]م حمد بن احمد بن ابي فضل الانصاري التلمساني ابن صعد(ت: 901هـ) روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الاربعة المتأخرين، تح: يحيى بوعزيز، الجزائر: منشورات المؤسسة الوطنية،2002، 200

[61] ابن سيد البطيلوس، مجموعة شعره ، مجلة المورد العراقية،مج19،العدد(1)، 1977، 109.

[62] ابن فرمان القرطبي، اصابة الاغراب في ذكر الاعراب، 284.

[63] ابن فرمان، مصدر سابق، 324، 490، 622.

[64]ابن خفاجة ابو اسحاق ابراهيم: ديوان ابن خفاجة، تح: عبدالله سعيدة، دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1427,2006م، 60.

[65]ابن فرمان،المصدر السابق، زجل، 48، 326.

[66]ابن سعيد ابي الحسن على بن موسى ، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تح: ابراهيم الايباري ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط2، 1400، 1980م، 179.